المنظور النسوي للعنف الذكوري في الرواية المغاربية، راعية الذئاب لأحلام لقليدة أنموذجا.

The feminist perspective of male violence in the Maghreb novel; the wolves' shepherd by Ahlam Louglida as a model.

ط/د بوروبة سارة
جامعة محمد لمين دباغين، سطيف (الجزائر)
bouroubasara08@gmail.com
0699.71.06.61

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على المقاربة النسوية السرديّة للعنف الذكوري التي تكشف جانبا من علاقة المرأة بالرجل داخل المجتمعات العربيّة، وهي علاقة من نوع خاص تتجاذبها إيديولوجيات تاريخية واجتماعية ودينية، لذلك تتجلى ملامح النسوية داخل المتن المدروس باعتبارها حركة إيديولوجية تسعى للدفاع عن حقوق النساء ونشر مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة بعيدا عن التحيزات الثقافية أو البيولوجية التي أفرزها تاريخ طويل من تهميش المرأة، وقد تبنّت المبدعات بعامة والكاتبات بخاصة أهم هذه المبادئ وسلطن الاهتمام على قضايا المرأة، بالبحث عن علاقاتها مع الآخر –الرجل– ومراجعة مكانتها تاريخيا واجتماعيا. ويعد العنف الذكوري موضوعا بارزا في كتابات المرأة العربية التي تسعى إلى كشف التناقضات والملابسات التي تعيشها وبنات جنسها داخل مجتمعاتهن ذات النزعة الذكورية، وجاء اختيار النص بناء على المكانة التي تحتلها الرواية المغاربية النسوية اليوم في ساحة الإبداع والنقد.

الكلمات المفتاح : أنثى؛ ذكر؛ عنف؛ نسوية؛ منظور.

Summary :

This study aims identify the narrative feminist approach to male violence, that reveals an aspect of the relationship of women and men with in Arab societies, it is a special relationship that is tied by historical social and religions ideologies, therefore, the features are manifested within the studied body as an ideological movment that seek to defend women's rights and appear the principale of equality between men and women, away from cultural or biological prejudices that have resulted from a long history of marginalization of women, creative women in general and women writers in particular have adopted the most important of these principales and devoted

attention to women's issues, by searching for their relationships with the other – the men- and reviewing their historical and social standing. Male violence is a prominent topic in the writings of Arab women, which seek to uncover the contradictions and circumstances that they and their gender girls live within their patriarchal societies, the choice of text was based on the place that the feminist maghreb novel occupies today in the arena of creativity and criticism.

Key words : female ; male ; violence ; feminism ; perspective.

1.مقدمة:

ظلّت علاقة المرأة بالرجل مفهوما هلاميا يصعب القبض عليه تتنازعه الراوية التي يكتبها الرجل والمرأة على السواء بين نظرة قاصرة ترى في المرأة ظلا للرجل، وأخرى أقلّ حدّة تعتبر المرأة شريكا في المؤسسة الإنسانية، وتظهر نصوص أكثر تطرفا محمّلة بأحقاد إيديولوجية وتاريخيّة تجاه المرأة حين تصنّفها ككائن – باهت – مقابل المركز ممثلا في الرجل؛ بالتالي كان حتما على الكاتبات مواجهة كل هذا العبث عن طريق تعرية المجتمع العربي –الذكوري– في نظرته القاصرة للمرأة عبر تبني قيّم النسويّة لأنّ هذا الاضطهاد ليس وليد الظّروف الرّاهنة بل تشكّل عبر جملة من التراكمات الممتدّة بجذورها في عمق التاريخ الإنساني، أو ربما التاريخ الذكوري مادام الرجل هو من تولى كتابة هذا التاريخ وتقسيم الأدوار، لتظهر المرأة بوصفها الحلقة الأضعف ما عزّز بروز سلطة الرّجل كقوّة مهيّمنة، وسلّط بذلك عليها شتى أنواع العنف المادّي والمعنوي. لقد أنتجت القيم الأبوية نموذجا متعاليا للذكر حيث جعلت منه مركزا للسيطرة والهيمنة والأفضلية التي تتمحور حول قوّته الجسدية– التي تفوق قوة الأنثى– وبراعته العقلية؛ فالذكر له من الحكمة والذكاء ما يجعل الأنثى تبدو أمامه ككائن من الدرجة الثانية – ناقص– ما عزّز تعنيفها تحت مبرّرات الوصاية والحماية.

تقدّم رواية "**راعيّة الذئاب**" للكاتبة المغربيّة "**أحلام لقليدة**"[1] واقع المرأة داخل المجتمع العربي/ المغربي التي تطرح العنف المسلط اتجاه النساء انطلاقا من اختلافهن الجسدي فكل صفات الجسد الأنثوي تجعله محطّا لممارسة العنف، فهو بلينه وضعفه بفتنه وغوايته يسطّر واقعا مأزوما لمالكته. ما يطرح الإشكاليات التالية: ما هي علاقة المرأة بالرجل في المجتمع العربي؟ كيف تجلى

المنظور النسوي للعنف في الرواية النموذج؟ هل نجحت الكاتبة في مواجهة عنف الذكور؟ ما هي العلاقة بين العنف وتغيير المكان في الرواية النسوية؟.

2. النسوية إيديولوجيا جديدة:

عرف التاريخ نوعا من اللاتوازن فيما يخصّ المواقع الاجتماعية بين الذكر والأنثى بسبب إقصاء هذه الأخيرة وتغييبها فكريا وحضاريا لأنّها في نظر الآخر –تحتل مكانة دونيّة–، فالرجل أعطى/حاز لنفسه الشرعيّة في التعبير عن قضايا المرأة لأنّها ببساطة غير قادرة على التعبير عن مكنوناتها الخاصة في وجود السلطة العليا والمرجعيّة الممثلة في المؤسسة الذكوريّة؛ بحيث «فرضت الأبويّة على المرأة أن تظل في صيغة الحاجة التي تلبي نزعات التناسل، والبقاء، والتكاثر، التي هي أهمّ الحاجات التي تتطلبها الأبويّة»[2]،فالإقصاء لم يقم على معيار العلم والكفاءة وهما لا ينقصان المرأة أو على المعيار البيولوجي؛ وإنّما من منطلق إيديولوجي يقوم على حصر المرأة في أدوار معيّنة، فتبلور ذلك في ما يعرف بالجندر (gendre) وهو «الأدوار والاختلافات التي تفرزها وتبنيها المجتمعات بين الرجل والمرأة؛ بالتالي تعويض الماهوية البيولوجيّة بالبنائيّة الثقافيّة»[3]، إنّ تفسير تباين الأدوار القائم على القوة العضلية والعقلية يبقى عاجزا عن تبرير الحقيقة التاريخية لتدني مكانة المرأة، فاستعبادها يظهر كنتيجة لجبروت الشعور الإنساني الذي يبحث عن تحقيق سيادته بصورة فعلية/ مادية، فاحتقار المرأة سابق لهذه المفرزات الجسدية بل يدل على أن المرأة لم تكن في علاقة ود تاريخي إلى جانب الرجل، لذلك مطالبة المرأة بمراجعة مكانتها وثورتها ضد وضعها يهتم بالبحث عن الإنصاف وليس لتجاوز ذاتها كجنس –أنثوي– .

لقد سعت النسويّة كحركة للدفاع عن دور النساء وإثبات حقهن في ممارسة الهوية الأنثويّة بحريّة في كافة مجالات الإبداع بعيدا عن ما صنعته أيدي الرجال ورأت فيه الكمال الذي لا يراوده النقص، فـ«خارج النسق الذكوري حاولت النسويّة العمل برؤى جديدة كمحاولة للخروج من تحت عباءة التبعيّة بكلّ تنوّعاتها وأشكالها بإلقاء الضوء على العقل النسوي بكل مميّزاته واختلافاته الجوهريّة التي تظهر بشكل عام في الكتابة»[4]، هذا لا يعني أنّ كتابات المرأة محصورة في معالجة قضايا محدّدة تخصّ بنات جنسها فقط كما أراد بعض النقاد والكتاب ذوي العقليّة الذكورية الترويج له لإضافة نوع من العجز والقصور على إنتاجات المرأة الإبداعيّة، بتصنيفها ضمن أدب:

الحريم، الأنثى، النسائي، النسوي... وغيرها من التسميّات العنصرية التي ترمي إلى فرض عزلة ثقافيّة تقصي الكيان النسائي، فالرواية النسويّة تكشف عن هواجس عديدة تؤرّق عالم المرأة وإن تقاطع أغلبها في مواضيع أساسيّة كنظرة المرأة للآخر/الرجل، ولجسدها والعنف الممارس ضدّها؛ لأنّ «النسويّة في أهمّ فعالياتها تسعى دوما إلى استحضار العنف الموجّه إلى النساء بأنواعه كلّها، سواء كانت هذه الكتابة بأقلام نسائيّة أم ذكوريّة»[5]، فالمرحلة التاريخيّة فرضت الدفاع عن مجموعة من القيّم والثوابت الخاصّة بالمرأة والتي ظلت في حكم المهمّش والمسكوت عنه، فقد ركّز خطابها على تفعيل دورها «بوصفها الشخصيّة المتحرّرة، والثائرة، والإنسان، والمثقّفة، والمبدعة، والضحيّة، فكانت الكتابة النسويّة من هذا المنطلق مسكونة بعداء المجتمع غير الحضاري، والتقاليد الذكوريّة السلبيّة، والثقافة الأبويّة المتجبّرة، واللغة الإبداعيّة التقليديّة»[6]، لتتحوّل الأنثى تحت فتنة البوح من موضوع إلى ذات منتجة.

يعدّ العنف موضوعا أساسيّا وعاملا بارزا في إنتاج الرواية النسويّة في العالم العربي؛ وبالتالي فإنّ المنظور النسوي للعنف الموجّه ضدّ المرأة تاريخيا، واجتماعيا، وحتى دينيّا بسبب الفهم والتأويل القاصر لبعض النصوص الشرعيّة مظهر من مظاهر الوعي الفكري والسردي لديها، فالعنف يتشكّل «من خلال تحوّل المرأة إلى ضحيّة أو كبش فداء في سباقات علاقتها بالرجل، أبا، وأخا، وزوجا، وابنا، وقريبا، وجارا...الخ»[7]، فالرجل القمعي بمختلف تصنيفاته الاجتماعيّة يمثّل نمطا نسقيا في رواية (**راعية الذئاب**) بوصفه كائنا مضطهدا للأنثى ومصادرا لحقوقها، عبر أشكال عديدة من العنف سواء الجسدي: كالضرب، والحبس، والتحرش الجنسي... والمعنوي عن طريق الإقصاء والتهميش والحرمان العاطفي وحتى الجنسي، مادام الرجل يمتلك سلطة/قدرة على إدارة جميع الأمور بما فيها العلاقة الحميميّة مع أنثاه.

تتطرق الساردة لقضيّة العنف تجاه المرأة في المجتمعات العربيّة التي تعيش واقعا مأزوما على كافة الأصعدة، خاصة مع الرجل بمختلف تصنيفاته الاجتماعيّة، بطلة الرواية "**نادية**" تعيش في أحد الأحياء الشعبيّة حياة قاسيّة بسبب الفقر والحرمان الذي يطالها وجميع أفراد العائلة(الأم، الأخت، الأخ) في حين يظهر الأب كذكرى حزينة لغيابه المبهم بسبب مواقفه السياسة فهو يقف بين الأحياء والأموات، لكنّه الحاضر في مخيّلتها عن طريق لوحة مرسومة من بقايا الذاكرة، مما

يضطر الوالدة أن تتقلد دور الأب والأم، بالتالي أن تعيش امرأة بمقاييس رجل مادامت هي من تعيل أبناءها وتسعى لقضاء حوائجهم.

3-المنظور الجسدي للعنف:

تعيش البطلة قصّة حب فاشلة بسبب الأعراف الاجتماعيّة الطبقيّة التي تجعل من المال سيّدا للعلاقات الزوجيّة، ومعيارا للتوافق بين الرجل والمرأة، فـ"**نادية**" وقعت في حب "**خالد**" ابن العائلة الغنيّة حيث تعمل والدتها كخادمة في منزلهم، يظهر "**خالد**" في صورة المثقّف العنيف وذلك عندما يدير ظهره لحبيبته عند أوّل منحدر عاطفي ويتزوّج بمن تناسب أرستقراطيّته، تقول "**نادية**": «ها أنت تدير ظهرك وتهرول ضاربا عرض النسيان تلك الذكريات والحياة التي سرقناها من الواقع رغما عنه»[8]، هنا يقف "خالد" موقف الذكر العنيف عندما يُعرِض بروحه وذاكرته عن امرأة أحبّته ومنحت له جسدها في لحظة ضعف، فتواجه بذلك عنفا جسديا من طرف أخيها "عمر"يكاد يضع حياتها على المحك، تقول السّاردة واصفة الموقف: «ما إن تخطّت عتبة البيت إلا وضربة تنزل على رأسها، من أعلى لا تعرف مصدرها لتغرق في دمها، وتسمع صراخ ليلى قتلتها يا عمر»[9]، فنادية الأنثى/المرأة هي من تحمّلت تبعات هذه العلاقة لوحدها عندما استنزف العنف جسدها من طرف أخيها، فـ"عمر" لا يجيد لغة أخرى غير العنف.

إنّ العنف يحقق هويّة الذّكر – **عُمر**- فهو لا يستطيع إثبات نفسه لأمه التي تعيله إلا من خلال تعنيفها وابنتيها، فتاريخ الذكور محكوم بالعنف لأنه سبيل السيطرة، وهذا حال بقيّة الذكور من حولها فهي امرأة لم تحافظ على قلبها وقبل ذلك على جسدها، تقول "**نادية**": «رأسي تحسّسته، مغطى بضمادات كأنّها عمامة الرجولة الملطّخة بدم الخذلان، وسوء التسيس، والتاريخ الجريح»[10]، إنّ تراجع الرجل داخل المجتمعات العربية عن العنف هو بمثابة تهديد لمنظومة القيم السائدة التي تنفي عن الرجل الرقة واللين، من منطلق الثنائيات الضدية التي تحكم العلاقة بين الأنثى والذكر (القوة، الضعف)، (الكمال،النقص)، (العصمة، الغواية).

لقد ارتبط مفهوم القوامة في ذهن الرجل العربي بالعنف فهو يوزاي القوامة، ولا تصح بدونه، ليضفي عليه نوعا من الشرعيّة الدينيّة المبرّرة مادام يرى أنّ الدّين جعل من كلّ النّساء ملكا ليمينه، وظلاّ له لا يمكنه الانفصال عنه تحت أي ظرف سوى بالموت، فمادامت قيمومته منبنيّة

على مبرّرات شرعيّة، ليستغلها الرجل في تشكيل سلطته وتنفيذ قبضته الحديدية اتجاه الأنثى، تقول "**نادية**" في هذا الصّدد: «العقل، والعزم، والحزم، والرأي، والقوّة، والجهاد، وكمال الصوم، والنبوّة، والخلافة، والآذان والخطبة، والجماعة والجمعة، والشهادة في الحدود والقصاص، وتضعيف الميراث وملك النكاح، والطلاق، وإليهم الانتساب وهم أصحاب اللحى والعمائم»[11]، أي فضل أعظم من هذا قد يحجب حق الرجل في التسلط على أنثاه؟!!.

في مشهد آخر من مشاهد العنف تتدخّل "**ليلى**" مدافعة عن "**نادية**" لإنقاذها من قتل محتوم على يد "**عمر**"، تقول "**نادية**": «سرعان ما تدخلت ليلى في الدفاع عني إلا وهاجمها عمر وجرّها من شعرها لينهال عليها كحيوان مفترس»[12]، وقوفها للدفاع عن أختها هو دفاع ضمني عن فعل محرّم – الحبّ- لا يجوز أن تعرفه الأنثى لأنّه حكر على الذكر.الحب جرم عظيم في مجتمع العنف والذكورة، فالمرأة تقاسم الرجل الوظيفة ومصاريف البيت بل قد تنفرد بأعبائه، وبحمل الأطفال وإرضاعهم ورعايتهم وخدمة من حولها، لكنها لا تقاسمه المشاعر والعواطف فهي من حقه وحده، وإن حاولت فقد تعدّت منطقة السلطة أي الذكورة، ببساطة لأنّ نهاية الحب هي العار، هذا العار الذي تقترفه المرأة مع الرجل وهم فيه شركاء لكن تتحمّل تبعاته بمفردها، تقول "**نادية**" : «النّاس في مجتمعنا لا ترحم دوما ما ينعتون المرأة بأنّها آثمة، حتى وإن كانت صادقة، المرأة من توسّخ الشرف، وهي من تحمل، وينعت ابنها بولد الحرام»[13]، فالنّساء وحدهنّ من يمتلكن أرحاما ومبايض، وهنّ لوحدهن من يفعلن الخطيئة بتواطؤ مع أجسادهنّ، لأنّ الرجل يتصف –وأعضاءه–بالطهارة المطلقة منذ آدم (عليه السلاّم)، وهذا ما يتكفّل "**عمر**" بتأكيده "**لنادية**" في كل مرة يراها فيها، يقول: «أمثالك يلزمهن الجلد، إلى أن يَتُبن، وعلى من تتكلمين يا حقيرة؟ ليسمعني وابلا من السّب والشتم»[14]، فهو صدى لعنف الذكور الجسدي واللفظي في مجتمعه.

تتناول السّاردة مواضع أخرى تفضي لتأزم العلاقة بين الرجل والمرأة، فتتعدّد بذلك مناظر العنف الذكوري الجسدي واللفظي وتتقاطع أحيانا أخرى. ما فعله "**عمر**" "**بنادية**"، يماثل ما فعله مع أخته الصغرى"**ليلى**"، التي تحملت جزءا من تبعات قصة خطيئة أختها، تقول "**نادية**":«كنت أسمع صراخه وافتعاله أبسط القصص لتوبيخ ليلى، دون أدنى سبب، أصبح يمنعها من الخروج من البيت، ويتحسّس حركة أنفاسها، يراقب هاتفها يتعقب طريقها من المدرسة»[15]، "**ليلى**" الشابة

الصغيرة المحاطة بكل أشكال العنف الجسدي والمعنوي، تجد نفسها تائهة جدا لا حلول ولا خيارات أمامها، عكس **"نادية"** التي حاولت الفرار من بؤرة التوتر داخل بيتها وحيها، ومجتمعها، وثقافتها، ووطنها وذاكرتها نحو مكان آخر، عبّدته لها شبكات التواصل الاجتماعي، بحيث تفتح حسابا إلكترونيا وتحاول بصورة البروفايل (profile) التي وظّفت فيها كل أسلحة الأنوثة المرئيّة، أن تجذب أكبر عدد من الأصدقاء تحديدا –الذكور– لكن ما تحصل عليه في أغلب الأحيان ذكور لا يجيدون إثبات فحولتهم في عالمهم الحقيقي، ليظهروها بعنف –ربما قد يكون غريزيا– على صورة جسد **"نادية"** العاري الذي لن يتمكّنوا من امتلاكه إلا وهما، تقول الساردة في هذا الشأن: «يريد صورة عارية يا نادية كي يستمني عليها، فالرجولة أصبحت موقوفة التنفيذ، فكم من صرخة تخرج عبثا ليوهم بها الرجل أنه فحل ورجل»[16]، لقد حاولت الكاتبة من خلال بطلتها أن تبرهن أنّ الجسد الأنثوي هو مركز استقطاب قد يحمل في ظاهره إثارة، لكنها تخفي ميولا وعقدا جعلت الرجل يحصر علاقته بالمرأة في إطار سلطة السرير .

أم **"نادية"** المرأة التي غاب عنها زوجها بفعل الموت أو السجن لا أحد يعلم هي محل أطماع الجميع، حتى وإن لفّت جسدها داخل ألف حجاب لن تسلم من النظرات العنيفة للذكور المحيطين بها، ورغبتهم في اختراق ذلك الجسد، الذي لا يقع تحت سلطة غيرهم من الذكور، فالعنف لكمة، وكلمة، ونظرة لتجد المرأة نفسها تكافح كل ذلك «كأي امرأة عربيّة مقهورة»[17]، لا ذنب للمرأة سوى أنّها خلقت امرأة في مجتمع لا يقدس غير الذكور، عليها أن تتقلد/تتقلب بين أدوار الذكورة والأنوثة على السواء حسب ما تخوّله لها فطنتها، فـ« الرجل وبالذّات من الطبقات الكادحة المحكومة يتعرّض لقيود سياسيّة واقتصاديّة ونفسيّة في عمله خارج البيت، أمّا المرأة فهي تتعرّض بالإضافة إلى كل ما سبق إلى قيود أخرى خاصة بها وحدها كامرأة سواء داخل الأسرة، أو في المجتمع الخارجي، ولهذا يقع الظلم على المرأة مضاعفا»[18]، فالمجتمع بتحيّزاته الهشّة أسهم في المضاعفة من حجم معاناة المرأة، وبرّر للرجّل تحميل المرأة تبعات شقائه في سبيل لقمة العيش.

"إلهام" امرأة أخرى من نساء الرواية جميلة ومغريّة؛ تحيا كذات مقموعة في مجتمعها الذي رفضها، كما رفضتها عائلتها الريفيّة بعد حملها بطفل خارج إطار الزواج، ما جعلها محلّ أطماع لكل ذكر يتربّص بها، تنخرط **"إلهام"** في عالم البِغَاء بعد انتقالها للمدينة بغية توفير لقمة العيش لها

ولصغيرها أمام إنكار العشيق والعائلة وضيق الحال، فتعتزل المجتمع بكامله حتى لا تُفضح ممارساتها أو يعلم أحد أفراد عائلتها الريفيّة بشناعة فعلها، تنتهي مأساتها بعنف جسدي بأبشع الطرق يؤدي إلى موتها والتنكيل بجثّتها انتقاما للشرف، والعادات، والذكورة، والبطولة الوهمية المختصرة في حراسة فروج النساء من الوقوع في الفواحش، تصف الساردة الموقف بقولها: «كانت إلهام غارقة في دمائها ومنهم من قال: إنّهم وجدوا الجثة ولم يجدوا الرأس»[19]،جريمة القتل هاته هي ضريبة أخرى للحبّ داخل مجتمع الذكور، فلولا فرار العشيق الوهمي لما آل الأمر إلى ما وصل إليه، فالرجل لا يمكنه أن يتحمل تبعات أخطائه التي تشاركه فيها المرأة؛ لأنه وبتواطؤ من مجتمعه وجسده لا يمتلك غشاء يتحكم في حياته وموته.

إنّ العنف لا تبرّره الروابط الأسريّة والعلاقات العاطفيّة بين الرجل والمرأة، فقد يستغل الرجل علاقات أخرى يفرض بها سلطته وبالتالي عنفه على المرأة، لا يشترط في ذلك أن يكون الأمر ماديا بالضرب بل للعنف الذكوري سبل عدة، وهو ما تعيشه **"فاطمة"** صديقة **"نادية"** أثناء عملها في مكتب محام يستغل فاقتها المادية ليجعل منها خادمة لا سكرتيرة؛ لأن رقبتهابين يديه يدقها في أي وقت يشاء وكما يشاء، تقول **"فاطمة"**:«اللعنة لهذه الظروف التي جعلت مثل هذا الوغد يتحكّم بمصيري»[20]، فقد منح لنفسه الحق في إذلالها مقابل سلطته التي اكتسبها بنفوذه المادي، ليجعل من نفسه قوامّا على **"فاطمة"** لأنّه بنظره –القاصر– للدّين حقّق شروط القوامة عن طريق الإنفاق عليها من ماله، الذي لا تتحصّل عليه في النّهاية إلا مقابل عملها.

كل الرجال الذين أحاطوا بالساردة: الخال، الجار، الأخ، الحبيب... كانوا في أعلى هرم السلطة، ولا يتقنون سوى العنف لغة وفعلا «فالمذكر له من اللغة والثقافة ومن الجسد غير ما للمؤنث، له الأسمى والأرقى والأفضل دون شك»[21]، لتقف كل النّساء على الطرف الآخر المهمش والمقصي يدافعن ويقاتلن من أجل البقاء والاستمرار، كما تحوّل الجسد الأنثوي إلى شبح مدمّر يُهدّد حياة المرأة واستقرارها، ومطية لتعنيفها من خلال العلاقة المنسوجة بين شخصيات الرواية.

4–المنظور النّفسي:

ارتبط هاجس الحريّة الجسديّة عند الروائيّات بتغيير المكان نحو الآخر الغربي بحثا عن دفء

ثقافي يضيء عتمة الذات، وللتخلص أيضا من رواسب الثقافة العربية الذكورية المشحونة بسطوة المكان، والتي تخجل من جسد الأنثى وتحيك المواقف لقمعه، فأمام القهر والظلم لا تمتلك البطلة حلا سوى الهروب إلى بلد آخر؛ بالتالي إلى ثقافة مغايرة قد تخلصها من أعباء الجسد والهوية الأنثوية، والسبيل إلى ذلك الانعتاق رجل يمنحها لقبا جديدا –زوجة– يخلص كيانها الأنثوي من قيوده الاجتماعية بما يمنحه لجسدها من حرية. قاربت الرواية فشل العلاقات الزوجيّة على المستوى الجسدي، فبعد أن اعتقدت "**نادية**" أن اختيارها "**لجورج**" الرجل الذي تعرّفت عليه عبر الإنترنت، وظنّت أنه سبيلها للخلاص ببساطة لأنه رجل مختلف في نظرها، مزيج من الثقافة اللبنانيّة الفرنسيّة، وأيضا لأنّ مؤسسة الزواج لا تتصف بالديمومة كالعلاقات الأسرية الأخرى، فالتخلص منه يتم عبر الطلاق بالتالي تكون المرأة فيه أكثر تحررا وانعتاقا.

"**جورج**" لم يظهر بوصفه عنيفا لفظيا أو جسديا بل ظهر كرجل يجيد معاملة المرأة بلطف، لكنه يمارس نوعا آخر من العنف تمنحه له سلطته الجديدة بوصفه –الزوج– حين يمتنع عن إتمام زواجه بـ "**نادية**" عن طريق الاتّصال الجسدي ، فهذا العنف جعلها تقف أمام نفسها وجسدها كحمقاء متردّدة بلا هوية أو ملامح، غيره من الذكور نجح في ترك آثار على جسدها وذاكرتها بعنف مادي، لكنها تقف حائرة في تصنيف ما يحدث لها «آآآه يا جورج لو أستطيع البوح لك، أن لا جسد لي ولا روح، حتى الهيكل العظمي الذي لا تهتم له يضنيني»[22]، هذا الجسد عرف العنف ضربا ولغة والآن إهمالا، بالتالي بات الأمر «لا يقتصر على بعض الأحداث التي تهزم الجسد إمّا بحالة دائمية أو وقتيّة، مثل تعرض الجسد للمرض؛ وإنما هناك حالات أخرى تفني ذلك الجسد وتقوّض وجوده بشكل كبير»[23]، وهو أن تنسى المرأة أنها أنثى في حضور الرجل، فالجنس معطى مرتبط بالجسد أما الحب فهو مفهوم زئبقي يتعلق بالروح، ويبلغ كماله بالوصال والمساكنة بين الذكر والأنثى «فالحب هو الجنس مطروح منه الجنس»[24]، هذا ما عرفته "**نادية**" مع "**خالد**" وعاشت نقيضه حد التطرف مع "**جورج**".

تتعرف "**نادية**" إلى صديق آخر في فرنسا على درجة أعلى من الوعي والثقافة، لكن نظرته للمرأة قديمة–جديدة مختصرة في جسدها، ما يمكن أن يمنحه هذا الجسد أو ما يأخذ منه، وما يفرغ فيه من أعباء الذكورة، النظرة واحدة والطرق متعددة، تجري حوار مع "**فريد**" حول علاقاته

المتعدّدة: «واو جيد، متى ستبتعد عن هذه العادة السيئة؟ أخبرني ممن تنتقم، نشوة عابرة لدقائق قد تخرّب بيوتا.

– ليس ذنبي هنّ يسقطن في حبي.

– تقصد في فخك»[25]، فعلاقته مع الأنثى مختصرة في جسدها عزباء كانت أم متزوّجة، المهم أن تلبي رغبات الذكورة، فهي بما تمتلكه من جسد ضعيف وغير مؤهل لا يجب أن تتجاوز حدود جسدها المسطّرة تاريخيا وثقافيا ضمن أدوار الغواية والفتنة بعيدا عن حق المشاركة الإنسانية التي يتساوى فيها الذكر مع الأنثى، فالرجل مسلح بعتاد بيولوجي مقنّع ثقافيا لإنتاج السلطة والهيمنة التي تضمن استمرارية تقدّم نوع على آخر.

لم يتغيّر واقع البطلة بتغييرها للمكان/الثقافة، فالرجل العنيف هنالك بالمغرب، يمارس العنف ذاته هنا بفرنسا، لذلك تُدين سلطة الذكورة التي قمعت أحلامها وآمالها، بل وكانت سببا في إبعادها عن وطنها وقدمت لها مآس جديدة تضاف إلى تلك القديمة، التي كان العنف دائما وراءها، فغربتها، وتشتت أسرتها، وأدت إلى ضياع أختها وانقطاعها عن الدراسة، وتسببت بمقتل إلهام وقطع رأسها، وجحود فاطمة لتاريخ من الصداقة، كلّ هذا مردّه عنف الرجال من حولها.

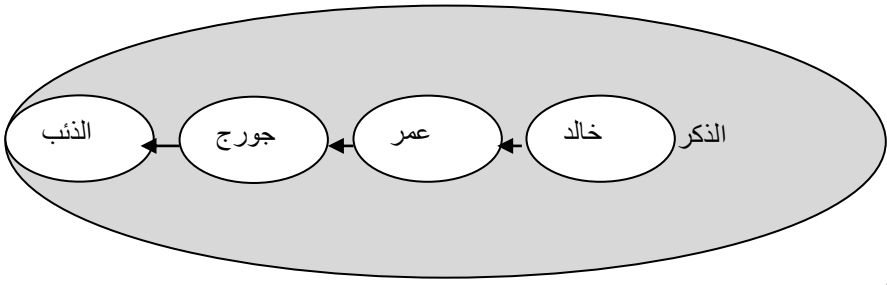

5.خاتمة:

تُستهدف المرأة بالعنف بوصفها كائنا من نوع خاص في مقابل الرجل، وقد تكون موضوعا للعنف اللفظي ويتمثل ذلك في الشتائم التي توجه حصرا للمرأة كالمومس والعاهرة وبائعة الجسد وخائنة الشرف، وهذه الشتائم نفسها تحمل تمييزا عنصريا إذ لا يوجد مقابل لها في المعجم

الذكوري، وقد يكون العنف جسديا بالضرب والتعذيب والقتل والتنكيل، أو الرغبة في تفريغ الميول والمكبوتات والعقد الذكورية، ليظهر الجسد كحافز لممارسة العنف نحو المرأة.

من خلال رصدنا للعنف داخل الرواية، تتبين لنا جملة من القضايا الأساسية التي طرحتها الساردة، ويمكن تلخيصها في ما يلي:

– إنّ المرأة العربية تعيش داخل منظومة اجتماعيّة تملؤها التناقضات فهي تلعب دور الحبيبة، والعشيقة، والعاهرة، وكلها شخصيات منبوذة يرفضها المجتمع، ومن جهة أخرى فالمرأة هي تلك الأمّ والزوجة والجدة اللواتي يحملن صفات مقدسة، بالتالي المرأة داخل المجتمع العربي تجمع بين التقديس والتدنيس.

– العقليّة العربية ذكورية بامتياز، فالرجل يقع في أعلى هرم السلطة، ولتأكيد/ إثبات ذلك يفرض على الجنس الآخر –المرأة– التبعيّة والدونية مهما اختلف تصنيفها الاجتماعي، لذلك ارتبط العنف بتغيير المكان نحو الآخر —الغربي–.

– المرأة العربية تعيش صراعا داخليا بين مجابهتها للرجل العنيف، والنظر إليه على أنه المنقذ والمخلص ومصدر الراحة والاستقرار، والحياة في غيابه القسري هزيمة وفي تغييبه راحة.

– قاربت الساردة أشكالا متعدّدة من العنف، ألبستها شخصيات ذكورية متنوّعة (أخ، حبيب، زوج، جار، خال..).

– للعنف الذكوري صور متعددة لا تقتصر على العنف الجسدي الممثل في الضرب والجرح، بل تتعداه إلى العنف المعنوي، الذي يهزم الشخصية الأنثوية ويجردها من هويّتها.

– تقف الساردة موقفا باهتا متردّدا من عنف الذكور الذين أحاطوا بها، حين تضع له مبررات اجتماعية تدحض بها الصورة النمطية للرجل العربي، كون العنف لا يمثّل جزءا من هويّته بل يعد مكتسبا بسبب الظروف.

الهوامش:

[1]– شاعرة وروائيّة مغربيّة، مقيمة بباريس، من دواوينها مطافئ الأحلام(2016)، هجير المعاني (2020) .

[2]– نادية هنداوي، الجسدنة بين المحو والخط (الذكورية–الأنثوية) –مقاربات في النقد الثقافي–، آداب الرافدين، لبنان، ط1، 2016، ص08.

[3]– حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية –قراءات في سفر التكوين النسائي–، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص44.

[4]– رفقة رغد، الفلسفة والنسويّة في فضح وازدراء الحق الأنثوي ونقضه والتمركز الذكوري ونقده، تأليف مجموعة من الأكاديميين، إشراف وتحرير: علي عبود، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف لبنان، منشورات دار الأمان، المغرب، ط1، 2013، ص159.

[5]– حسين المناصرة، المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينيّة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص07.

[6]– حسين المناصرة، قراءات في المنظور السردي النسوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2013، ص07.

[7]– المرجع نفسه، ص09.

[8]– أحلام لقليدة، راعية الذئاب، سليكي أخوي للنشر والتوزيع، طنجة، المغرب، ط1، 2018، ص86.

[9]– المصدر نفسه، ص54.

[10]– عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1،ج1، 2008، ص141.

[11]– الرواية، ص54.

[12]– هادي العلوي، فصول عن المرأة، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص35.

[13]– الرواية، ص:12.

[14]– الرواية، ص:54.

[15]– الرواية، ص:60.

[16]– الرواية، ص:111.

[17]– الرواية، ص35:.

[18]– نوال السعداوي، الأنثى هي الأصل، مؤسسة هنداوي سي أي سي للنشر، وندسور، المملكة المتحدة، ط1، 2017، ص:310.

[19]– الرواية، ص:92.

[20]– الرواية، ص85:.

[21]– عبد الله الغذامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1996، ص:54.

[22]– الرواية، ص:110.

[23]- مازن مرسول محمد، حفريات في الجسد المقموع –مقاربة سوسيولوجية ثقافية- منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، لبنان، ط1، 2015، ص:199.

[24]- تيودور رايك، سيكولوجية العلاقات الجنسية، تر: ثائر ذيب، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص:31.

[25]- الرواية، ص08.